**شموع روحانية تفضح المستشرقين**

سميرة بيطام

**مقدمة :**

من طبيعة النفس البشرية أن تعجب بكل ما هو جديد و جليل و عظيم ،فلا يترك الشك بالشيء الجميل ليستقر بعيدا عن الحقيقة ،و لا يبقى العقل محتارا فيما يصدق من و من يقنع من ، كل تلك هي مضاربات الجدل و النقاش و فصول المناضرات بين العلماء و القسيسين و المستشرقين ، فمن هم ؟.

الاستشراق والمستشرقين هم أناس من النصارى و اليهود ومن غيرهم من الكفرة تعلموا لغة الشرق، تعلموا اللغة العربية وكتبوا عن الإسلام وعن الأديان، بعضهم قد ينصف ويتكلم بالحق، وأغلبهم لا ينصف ولا يتكلم بالحق، وبعضهم قد يتكلم بالحق في مواضع ليغري الناس ويدس الباطل ويدس الشر في مواضع أخرى، من النصارى واليهود وغيرهم لدخولهم إلى الشرق وأخذهم اللغة ودراستهم آثار الشرق وما كان عليه هذا الشرق من دين وهدى حتى يخرجوهم عن دينهم، وحتى يشككوهم في دينهم، وحتى يدعوهم إلى الباطل، إلى النصرانية والبعثية واليهودية والوثنية وغير ذلك، وأقل شيء أن يشككوهم في دينهم، أقل شيء أن يجعلوهم شاكين في هذا الدين ليس عندهم ثبات، وليس عندهم .. بسبب ما ألقوه في قلوبهم من الأفكار الفاسدة، والتشكيكات، والأعمال الخبيثة.

و بعض المستشرقين في أيامنا المعاصرة و المفكرين لحساب غيرهم ،غارقون في متاهات الفكر المأجور على حساب الإسلام ،و في غمرات الجهل و الهوى يكشف المستشرقون هؤلاء عن ثقافتهم الضحلة و عن خلفياتهم المهزوزة أمام حقيقة الإسلام و عن عمالتهم المأجورة في رحاب الفكر الديني.

و كما يقول الأستاذ علي عبد الهادي أن الإسلام هو دين الكرامة الإنسانية،يأبى على المسلم،بل وينهاه عن الرضوخ لعنيد جبار ، وعن التسليم لمتكبر ظالم و عن مهادنة الشر الذي لا يرضاه الله لعباده المؤمنين ، و المسلم يتوكل و لا يتواكل كما أنه يصنع الحياة و لا يصانع خصومها،و يفتدي العزة بدمه و لا يبيعها من غرض أو هوى .

**معالم إسلامية تدحض تدخلات المستشرقين :**

لا شك أن من أهم القضايا الحتمية التي لا يختلف فيها اثنان أن الإسلام خاتم جميع الأديان و أن دعوته عامة لكل الناس لا فرق في ذلك بين أبيض و أسود،و أن محمدا عليه الصلاة و السلام خاتم الأنبياء و المرسلين بلا مراء و لا شك أن هذه الرسالة الكريمة السمحة لم تأت عبثا بل جاءت لتلم شعث الإنسانية و تجمع شتاتها و تستأصل شأفتها للانتقام و للكراهية و للبغض و تغرس في النفوس حب الرحمة و العدل و الحق و المساواة و كل الأخلاق الكريمة و المبادئ القويمة و القيم السامية ،و سلامة النظر و استقامة التفكير و من هنا كان الدين الإسلامي صالحا لكل زمان و مكان ،لآن جميع النفوس تأبى الظلم ،و تتطلع إلى الخير و تتشوق إلى كل جميل و سليم، وكان لزاما على الدين الإسلامي تجاه كل هذا أن ينبه العقول من غفلاتها و يوقظ الإنسانية من سباتها ثم يضع دستورا دينيا محكما يهدي الحيارى و يرشدهم إلى بر الأمان بحيث يكون الدستور كاملا و متمشيا مع كل طور من الأطوار و ملائما لكل العقول حسب تفاوتها في الفهم و الإدراك .

و من الشموع المضيئة التي كتبت عن الاستشراق و دافعت عن قضية الإسلام ،ادوارد سعيد و هو يعد من أبرز من حلل علم الاستشراق تحليلا علميا، بحيث صبر على الاستشراق حتى نما واكتمل من هنا سهل عليه معالجته داخل مختبر مخيلته الذي يتكون من: اللغة الإنجليزية، المنهج التحليلي، الأستاذية الأكاديمية والاكتمال والنضج كما أشار إلى ذلك الأستاذ محمد خروبات في كتابه القيم حول الاستشراق، وبالتالي كل من أدلى بدلوه في هذا الموضوع من بعده لم يصل إلى ما وصل إليه ادوارد سعيد من نتائج.

و لم يسلم ادوارد سعيد من الانتقادات حيث خوصمت كتبه من طرف المستشرقين والمستعمرين، ولم يرحب به غير المسلمين لسبب واحد هو أن الكتاب تكلم عن الإسلام لا لغرض الدفاع عنه بل لغرض بيان كيف أن الإسلام بحضارته وتراثه وعلومه أصبح مفعولا به في اللغة الاستشراقية. بالنسبة لإدوارد سعيد، الاستشراق مشروع ناجح بالنسبة للغرب والخاسر فيه هو الشرق، ثم إنه لا مكان فيه للعمل الفردي، إنه عمل جماعي يمتلك هوية حقيقية، تراكمية، وجماعية وبالتالي فهو نوع من المعرفة التي لها منهج معين ومدرسة للتحليل والتفسير والمجال هو الشرق بكل مكوناته.

قد يكون ادوارد سعيد محقا من هذه الناحية بحيث أنه لما كان الجيش الغربي يبحث عن الموارد الاقتصادية والسياسية، كان المستشرقون يبحثون عن الموارد الفكرية والثقافية والعلمية، فلما حققوا بعض التراث أصبحوا يشكلون الوساطة الفعلية بين المسلم وتراثه، لا ندري ربما أتلفوا بعض المخطوطات القيمة أو حرفوها أو سجنوها في أماكن لا نعرفها أو حرقت خلال الحربين العالمية الأولى والثانية، إنها السلطة بالمعنى الذي حدده ادوارد سعيد للكلمة.

أما أ.د ياسين حسين الويسي فهو يرى أن الخطوب قد أحاطت بنا من كل صوب ،فبالإضافة إلى حروب الاستعمار التي عادت إلى بلادنا من جديد ، فان الصراع الفكري كان ولا يزال قائما و لابد للأمة من أن توفر مفكريها الذين سخروا عقولهم و أقلامهم لخدمة هذه الأمة و دينها العظيم ، و لما قدموا و يقدمون من عصارة أفكارهم في خربهم الفكرية ضد الأعداء الذين تشكلوا في كل صورة من صور الحقد و الأنانية ، و لأهمية هذا الموضوع اختار الأستاذ عنوان بحثه : مالك بن نبي و موقفه من الاستشراق و المستشرقين خلال كتابه إنتاج المستشرقين ، و هو رائد من رواد الفكر الإسلامي ممن كان لهم الأثر البالغ في مواجهة حملات المستشرقين التي شنوها على الإسلام ممهدين لاحتلال بلدانه ،فقد عالج البحث صنفا من أصناف المستشرقين المادحين للحضارة الإسلامية و كيف شغلوا عقول المفكرين المسلمين في الانبهار في أمرين:

1 بالتراث الإسلامي الذي حققوه.

2-انبهارهم بالحضارة الغربية و ما وصلت إليه من تقدم في كافة مجالات الحياة ، و قد وضع المفكر الإسلامي مالك بن نبي حلولا لتجاوز هذه العقبات و منها الوصول إلى استقلال فكري لنصل بعده إلى استقلال اقتصادي و سياسي و ضرب على ذلك مثالا في قصة علي بن أبي طالب عليه السلام الذي خالف رأي المنجم في معركة النهروان فكان القرار له و ليس لغيره،فيجب علينا أن يكون القرار لنا و ليس لغيرنا مصدر إلينا من الخارج و ما يأتي من الأعداء إلا الشرور .

تبقى لكل ظاهرة مناصرون على الضفة الأخرى يدلون بأفكار ضد المزاعم و المغالطات و هذا شيء يشرف الأمة في رقيها لأن غرض المستشرقين هو تحييد الحقيقة الظاهرة بسند قرآني عن مسارها الصحيح لعرقلة النهضة و الوعي و التحضر..و ما يجب أن نتعلمه من مسالة المستشرقين و مقابلة علمائنا و مفكرينا لهم هو تلك الحرب الخفية والظاهرة بين دحض الإسلام و نصرة الشرائع الأخرى..علينا التركيز جيدا لفضح الأفكار التي تروج لإضعاف هيبة الإسلام و مواجهتها مواجهة قوية لإسكات صوتها إما باغتيال السذاجة أو قهر الغرور الفكري..و هي مسألة نضالية مستمرة مع تعاقب الأجيال جيلا بعد جيل.

.